

كانت عشتارُ إلهة طموحة لم تكتفِ بسيادتها للسماء فأرادت أن تحكّم مناطق العالم السفلي أيضاً والذي كان يرضخ لحكم أخت إنانا الكبرى التي سماها السومريون 'ايرشكيجال' إلهة الموت والظلام.

تسلّحت إنانا بكل النواميس والتعويذات التي تملكها تأهباً لتنفيذ خطتها المجنونة بالدخول إلى الأرض التي لا عودة منها، وقبل أن تهمّ برحلتها أوصت وزيرها ننشوبر 'أنها في حال لم تفلح في العودة بعد ثلاثة أيام فعليه أن يندبها في 'مجمع الآلهة' ثم يشد الرحال إلى الإلهة إنليل 'كبير الآلهة السومرية' ثم ننا 'الإله القمر' فإذا لم يستجب حدهم لتوسلات الوزير لإنقاذ إنانا عليه أن يذهب إلى إنكي 'إله الحكمة' الذي لن يتوانى عن إنقاذها.

تهبط عشتار إلى العالم الأسفل وتقترب من معبد 'ايرشكيجال' المشيد بحجر اللازورد، فيعترضها عند الباب رئيس حراس المدخل ويطلب منها أن تعرّف عن نفسها فتلق عشتار عذراً لزيارتها ثم يقودها رئيس الحرس بموجب الأوامر والتعليمات التي تلقاها من سيده ملكة العالم السفلي 'ليمر' بها عبر بوابات العالم السفلي السبعة. وكانت كلما تمر من بابٍ تتجرّد من حللها وحلاها قطعة تلو الأخرى وبالتالي أخذت تفقد ما تسلّحت به من قوى سحرية، حتى إذا ما عبرت من البوابة السابعة والأخيرة جرّدت من كل شيء فأصبحت عارية، عندها أمرت أن تسجد لـ'ايرشكيجال' و'الأونوكي' وهم القضاة السبعة المخيفون الخاصون بالعالم السفلي، صوّبوا إليها نظرات الموت وتحولت إلى جثة هامدة.

مرّت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وفي اليوم الرابع وعندما رأى ننشوبر أن سيده لم تعد ، بدأ رحلته نحو الآلهة ليستجير بها كي تنقذ إنانا من محنتها. رفض كل من إنليل وننا مدّ يد المساعدة، إلا أن الإله إنكي ابتدع سيلةً لبعثها للحياة بأن خلق مخلوقين لاجنس لهما وأمرهما أن يذهبا إلى العالم السفلي وينثرا طعاماً وماء الحياة على جثتها. استجاب الرسولان للأوامر وعادت إنانا إلى الحياة أذن لإنانا أن تقوم وتعود إلى الأرض ولكنها كانت في حراسة عدد من الشياطين الأشداء بُعثوا معها وأمروا بأن يعودوا بها إلى عالم الأموات إن لم تجد من يحل محلها وهكذا خرجت إنانا تسيرُ محاطةً بأولئك الشياطين بموكبٍ رهيب قصدت أولاً المدينتين السومريتين أوما وبادتبيراً ولكن سرعان ما حلّ الذعر في قلب الإلهين الحاميين لهما، فلبسا المسوخ وتمرغا في التراب أمام إنانا التي قبلت خضوعهم وتذلّهم فمنعت الشياطين من أخذهما.

ثم تواصل إنانا المسير ومعها حشد الشياطين حتى تصل إلى مدينة دموزي (تموز عند البابليين)، أبى دموزي ارتداء المسوخ أو التذلّ أمام قرينته بل أنه ارتدى حلل العيد والأفراح وتربّع على عرشه غير مبال. عندما رأت إنانا زوجها وحبیبها فرحاً غير حزين على موتها استشاطت غضباً وصوبت إليه نظرة الموت وقامت بتسليمه إلى زبانية العالم السفلي في مشهد مروّع.

حاول دموزي النجاة من مصيره، فنجح بالفرار من الشياطين ليختبئ بين الأعشاب ويطلب من أخته ألا تشي به. تذهب الشياطين إلى بيت أخت دموزي ويعذبوها ويقومون استجوابها من

أجل الاعتراف بمكان دموزي لكنها تقاوم وتقي لأخيها بوعدا بحمايته يخشى دموزي أن يصيب أخته الوفية شراً على يد هؤلاء الشياطين الذين لا يعرفون الرحمة فيقرر أن يسلم نفسه لهم. وما أن صار دموزي الإله المعذب بين يديهم حتى أشبعوه ضرباً بالعصي والسيات ويهيئوه لرحيل معهم. هنا يتوجه بالدعاء إلى أوتو إله الشمس طالباً معونته فيستجيب له ويحول يديه ورجليه إلى قوائم غزال فيفرّ هارباً.

لكن الشياطين تلقي القبض عليه مرة أخرى وتعود لضرب وتعذيب الإله المعذب مجدداً. لم ييأس دموزي ونجح بالهرب منهم مرة أخيرة واختبأ في حظيرة أخته ، لكن الشياطين شديدة البأس تصل له وتأخذه معها إلى العالم السفلي هنا شعرت عشتار بتأنيب الضمير فهي في الحقيقة مغرمةً به فطلبت من أختها تسويةً لإرضاء الجميع، وكان لها ما أرادت؛ وهي أن يقضي الإله تموز في عالم الأموات نصف سنة من كل عام تبدأ بشهر تموز تموت أثناءها الزراعة والماشية من شدة الحر والجفاف وينتشر القحط ويغادر بعدها ذلك العالم إلى عالم الأحياء في النص الآخر من السنة لتحلّ محله أخته التي تطوعت من أجله، وهذا مرتبط بالربيع فتعود الزراعة والخير، وهكذا دواليك

## اخذ تموز الى العالم الاسفل :

ومع ان نص الاسطورة المنشور لم يذكر الغرض من ملاحقة اولئك الشياطين لانانا ، فانه وجدت اضافات تعود الى الاسطورة وهي مدونة في لوح يحتوى على نحو ٩١ سطرا وهو موجود ضمن مجموعات جامعة « بيل » الامريكية<sup>(١١)</sup> ، وفيها ايضا حات مهمة عن فحوى الاسطورة وخاتمتها ، من ذلك ان سبب ملاحقة الشياطين لانانا كان من اجل ان تسلمهم بديلا عنها ليحل محلها في العالم الاسفل . فكان اول من لآت عند صعودها من ذلك العالم رسولها « نشوبر » الذى حالما رآها تمرغ في التراب وهو يلبس ثياب الحداد . فلما هم اولئك الشياطين أن يقبضوا عليه يأخذوه على انه البديل المبحوث عنه تدخلت « انانا » وحالت دون ذلك . ثم قصدت الالهة ومعها جمع الشياطين الى مدينة « اوما » وهنا رمى الهها المسمى « شارا » بنفسه أمامها على الارض وتمرغ في التراب في ثياب الحداد ، فحالت انانا دون اخذ الشياطين له بديلا عنها ، وقصد الجموع من بعد « اوما » الى مدينة « باد - تيرا » الى معبد الهها « لتراك » (Latarak) الذى اظهر عند رؤيته « انانا » الحزن كما فعل الالهان الاولان ، فحالت كذلك دون اخذ الشياطين له بديلا عنها . واخيرا انتهى المطاف بانانا ومعها جمع الشياطين الى مدينة يكاد من المؤكد ان تكون مدينة « انانا » نفسها اي « اوروك » حيث يرد في النص اسم معبدها « اي - أنا » ، وهنا وجدوا الاله « تموز » ، زوج « انانا » ، وبدلا من أن يظهر الحزن كما فعل الالهة

الأخرون كانت مظاهر الفرح بادية عليه ولم يكثر بحضورها . فكان عقابه أن صويت عليه نظرات الموت واسلمته الى شياطين العالم الاسفل ليأخذوه بديلا عنها الى ذلك العالم . وكان قبض الشياطين على تموز عنيفا اذ انهم اوثقوه بالحبال وانهالوا عليه ضربا بالسياط والفؤوس ولم يرافوا بصراخه واستعطافه ، فاستجار بالاله « شمش » ( اوتو ) وهو اخو « انا » زوجة تموز فحوله هذا بهيئة ثعبان ، وجعل روحه لطيفة الجوهر ، فاستطاع ان يفلت من الشياطين ولجأ الى اخته المسماة « كشتن - أنا » التي ذعرت من هيته فبكت وصرخت وخبأتها في حظيرة الماشية ، ولكن الشياطين لاحقوه الى بيت اخته واكرهوها على أن تبوح بموضع مخبئه ، فكررروا ضربه وتعذبه واخذوه الى عالم الاموات .

وهنا تتوارد الى الذهن بعض التساؤلات المهمة عن قضية بقاء الاله « تـرـز » في عالم الاموات . فهل ظل رهينة الى الابد ؟ اي هل اختفى من عالم الاحياء وبقي في العالم الذي « لا رجعة منه » كما سماه العراقيون القدماء ؟ وكانت الاجابة على هذا السؤال الى عهد قريب موضع خلاف بين الباحثين ، فذهب البعض الى ان تموز يمكث في عالم الاموات بضعة ايام ( ثلاثة الى ثلاثين يوما ) ، ورأى البعض الاخر انه يظل ميتا الى الابد<sup>(١٢)</sup> . ولعل أصوب الآراء ما وصل اليه الباحث المشهور « فلكنشتاين »<sup>(١٣)</sup> . من فحصه للنصوص المختلفة ولاسيما ما نشره الاستاذ « كرامر » في عام ١٩٦٤ ومن بينها لوح يتضمن قفاه الخمسة عشر سطرا الاخيرة من اسطورة نزول « انا » الى العالم الاسفل وفيها نص واضح ان تموز يظل في عالم

ما بعد الموت طوال نصف عام واخته « كشتن - أنا » النصف الثاني من العام  
بديلا عنه<sup>(١٤)</sup> ، وهو رأي أصبح الآن مقبولا لدى جميع الباحثين تقريبا ،  
وهو يتسجم مع ما جاء إلينا من إشارات في أساطير أخرى عن الموضوع ،  
ومنها الحلم الذي رآه « تموز » أن اخته ، وهي مدفوعة بجها له ، تبعته  
إلى العالم الأسفل وقدمت نفسها بديلا عنه في ذلك العالم . كما أنه يتفق مع  
العقائد العامة عن إله الخصب ( الذي يمثله الإله تموز ) وضرورة قيامته  
إلى الحياة في مطلع الربيع لتعود بمودته حياة الخصب والخضرة إلى الطبيعة ،  
ومنها الأساطير الكنعانية واسطورة « ادونيس » المشهورة في المآثر اليونانية  
التي تشبه أسطورة تموز المراقية إلى درجة لا تدع مجالاً للشك في أنها  
مأخوذة منها<sup>(\*)</sup> .